Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سياق النبوة، وسياق الصوفية. وكما كان في مدح الحمار وذمه أقوال متساوية فكذلك كان في الأسد؛ وأوصاف الأسد معروفة متداولة بين الناس في الاستعمال العادي، ولكن الرسول (ص) يصفه بـ «كلب الله»، والكرامات لا تحيل على هذا المعنى وإنما تركته مضمراً. وقد انتقت من سِجِلّ الأسد: «أشرف الحيوان المتوحش، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وشراسة خلقه»[19].

بناء على هذا، نرى أن هناك قوتين متصارعتين: إحداهما طاغية متمثلة في الأسد المتوحش القاسي الشرس، والملك أسد متوحش وقاس وشرس. وعلى هذا يتحقق نوع من التعادل مما يصح معَهُ تبادل المواقع: الملك أسد؛ الأسد ملك؛ وثانية القوتين أليفة ووديعة وصبورة ومتجلدة... والإنسان الذي له هذه الصفات يصح أن يدعى «حماراً» أي أن: الإنسان العادي حمار، الحمار إنسان عادي.

الكرامة الأولى تصور الصراع بين قوتين: الأسد/الحمار. أي بين الخليفة وأتباعه/أبي يعزى حمار الرسول والأنبياء ومصطفى المستضعفين في الأرض. فتك الأسد بالحمار اعتداء على المقدس، والقضاء على الأسد رد الأمور إلى نصابها، أي انتصار السلطة الروحية على السلطة الدنيوية. **على أن الكرامات اتخذت موقفاً وسطاً، إذ جعلت الخليفة يستخلص العبرة بناء على عقدة المشابهة بينه وبين الأسد، وعقدة المشابهة بين الحمار وبين أبي يعزى ومستضعفي أتباعه، واعتماداً على هذه المماثلة والمشابهة وقع التسليم لأبي يعزى وأُوصِيَ بتبجيله واحترامه.**

هكذا، لما كان النزاع بين أبي يعزى وبين الخليفة وخاصته وقعت المعركة بين الحمار وبين الأسد، ولما انتهى النزاع بمصالحة بين أبي يعزى وبين الخليفة وقعت المصالحة بين أبي يعزى وبين الأسود، مما أدى إلى أن يتحكم أبو يعزى في مملكة الحيوانات جميعها وفي موازناتها الإنسانية. فالخليفة والخاصة وشيوخ القبائل هم الأسود والحيوانات الكاسرة والجارحة، و «أبو يعزى» شبيه بالرسل وبالأنبياء يتحكم في الحيوانات ويصرفها حسب مشيئه وإرادته.

يتبين من هذا أن الحيوانات المذكورة في كرامات أبي يعزى اتخذت موقفين متناقضين: أحدهما مناوىء لأبي يعزى، وثانيهما مؤيد له، **فإذا كانت الحيوانات مناوئة له فهي استعارة للسلطة الحاكمة وأتباعها في حالة غضب على الشيخ، وإذا**

(19) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مادة، أسد، المكتبة الإسلامية، وانظر أيضاً القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مطبوع بهامش حياة الحيوان الكبرى للدميري.